مجلة الموروث مجلد: 07 عدد: 01 السنة 2026
ص: 79 - 94 ISSN:2710- 8503 EISSN:2992-1538

مظاهر التطور الصوتي للألفاظ العربية : الأسباب والعوامل

Aspects of Phonetic Development in Arabic Words: Causes and Factors

عبد الله أكنني شئث[1] لطيف أوتيريتي إبراهيم[2*]

Abdullahi Akanni Shittu[1] / Lateef Onireti Ibraheem[2]

قسم اللغة العربية والدراسات الدولية، جامعة إلورن – نيجيريا

Department of Arabic and Transnational Studies, University of Ilorin, Nigeria

[2] onireti@unilorin.edu.ng – [1]akanni123@gmail.com

تاريخ الإرسال:2025/11/21	تاريخ القبول: 2026/02/12	تاريخ النشر: 2026/05/30

مُلخّص البحث

لم تزل قضايا التطور اللغوي من القضايا المعاصرة التي نالت اهتمام اللغويين والباحثين، ولم يألوا جهدا في تطوير مواطن النقص غير أن التطور الصوتي حاز قصب السبق فاهتم السابقون واللاحقون بقضاياه ومسائله ومظاهره فألفوا فيه كتبا جمة. إلا أن العناية قليلة في دراسة الأسباب والعوامل التي تدعو إلى هذه التطور اللغوي، ولهذا تسعى هذه الورقة إلى تحرير مفهوم التطور الصوتي ومظاهره واستقصاء أهم الأسباب والعوامل التي أدت إلى هذا التطور الملحوظ. ولتحقيق هذا الهدف انتهجت الدراسة المنهج التاريخي والوصفي لتحليل كيفية التطور الصوتي مع مراعاة بعض التغيرات التي تحصل أثناء هذه العملية وإعطاء بعض أمثلة تطبيقية لتوضيح المغزى. ومن أبرز ما توصلت إليه الدراسة أنه لا يوجد اتفاق بين العلماء على الأسباب التي تؤثر في تطور أصوات اللغة، فكان من الصعب معرفة القوانين التي تحكم هذه التطور، وأن صوت الثاء قد يتطور إلى السين بعامل التقارب في مخرج كل منهما.

الكلمات المفتاحية: تطور صوتي، قضايا، عوامل، مظاهر.

Abstract :

Linguistic evolution remains a key focus among contemporary scholars, with phonological change receiving particular attention from both classical and

* لطيف أونيريتي إبراهيم: onireti@unilorin.edu.ng

modern researchers. While extensive literature explores its patterns and manifestations, limited focus has been given to the underlying causes. This paper clarifies the concept of phonological evolution, highlights its major features, and investigates the principal internal and external factors driving this change. Recognizing that change is inherent in nature, the study adopts a historical and analytical approach to trace phonological development over time. Applied examples are provided to illustrate core principles and deepen understanding. The study concludes that there is no scholarly consensus on the exact causes of phonological change, making it challenging to establish definitive rules governing sound evolution.
Keywords: linguistic Evolution, Phonological Development, Issues, Factors.

مقدمة

الصوت هو الركيزة الأساسية والركن الركين الذي تعتمد عليها اللغة، إذ ليست اللغة إلا أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم وما يختلج في صدورهم من أفكار. وما المستويات اللغوية إلا نتاج أصوات تترابط وتتابع لتكوّن كلمة أو جملة، وليس يخفى ما للصوت من أدوار في تأدية معنى الكلمة ودلالتها.

وقد طرأت على هذا الصوت الإنساني تطوّرات متتابعة ومتلاحقة لاحظها علماء اللغة على مرّ العصور، ويمكن القول بأن مفهوم التطور الصوتي بشكل علمي لم يأخذ النصيب الوافر من دلالته الحديثة، وذلك لأنّ القدماء كانوا في أغلب الأحيان يعنون بدراسة القرآن والأدب العربي، معرضين عما سواهما، ولم تكن تلك النظرة الشمولية للتطور الصوتي حاضرة لديهم ما خلا شذرات تناثرت في كتب ابن جني، وابن فارس، وابن حزم، وهذه التطورات الصوتية لا تتوقف بل هي مستمرّة وإن كانت بطيئة، ولهذا يجدر الاهتمام بهذه التطورات الصوتية لرصد مواطن النقص وجوانب المستجدّات. وظاهرة هذه التطورات ترجع إلى عوامل وأسباب متعدّدة، ولهذا جاءت هذه الورقة لتبرز أهم عوامل وأسباب تؤدي إلى هذه التطورات الصوتية. وقد تمّ استخدام المنهج التاريخي والوصفي في الموضوع كما احتوت الدراسة على ثلاثة مباحث بعد الملخص والمقدمة على النحو التالي ثم خلاصة الدراسة وأهم نتائجها.

المبحث الأول : مفهوم التطور الصوتي وأقسامه

المبحث الثاني : أسباب التطور الصوتي وعوامله

المبحث الثالث : مظاهر التطور الصوتي عند العرب

1-مفهوم التطور الصوتي، وأقسامه.

1-1-التعريف اللغوي والاصطلاحي للتطور الصوتي.

التطور لغة من طوّر، أي حوّل الشيء من طور إلى طور

واصطلاحا : هو "التغير التدريجي الذي يحدث في بنية الكائنات الحية وسلوكها، ويطلق أيضا على التغير التدريجي الذي يحدث في تركيب المجتمع أو العلاقات أو النظم أو القيم السائدة فيه." (نخبة من اللغويين بمجمع اللغة العربية 1976، م2، ص570)

أما التطور الصوتي: فهو تغير يطرأ على نظام وحدات اللغة، تتبدل معه حالة الحرف أو صفته. (السيد، 2021، ص:873) فالتطور الصوتي هو عملية تغير الأصوات في اللغة، عبر الأزمنة والأمكنة. ويحصل التطور الصوتي بسبب التغيرات في النطق، والتغيرات في اللهجات، والتأثيرات الخارجية مثل التأثيرات الثقافية والاجتماعية.

1-2-مصطلح التطور الصوتي عند القدماء.

ألف القدماء استعمال لفظة بديلة عن مصطلح التطور رغم دلالة المصطلح على مراحل زمنية ومكانية، فعلى سبيل المثال، استخدم ابن جني كلمة "تغير" للدلالة على التطور الذي يصيب اللغة، مدركا بذلك الأحوال المحيطة والملابسات بتفاصيل وجزئيات اللغة العربية مستلهما ممن قبله، بدءً من شيخه أبي علي الفارسي ثم الخليل وسيبويه ليثبت للمتأخرين أن اللغة ليست جامدة، وإنما تتطور حسب الأزمنة والأمكنة. وقد مثل بذلك في التعليق الذي أورده عن أعلمية الكوفة بالشعراء مدركا إدراكا تاما قوانين التطور وعدم استقرار اللغة، قائلا "وهذا ونحوه مما يدلك على تنقل الأحوال بهذه اللغة واعتراض الأحداث عليها وكثرة تحولها وتغيرها." (ابن جني ص:311).

فالمقصود بـ "التغير" في كلامه يرادف المصطلح العام للتطور. وأما مصطلح "تبدل" فيلاحظ بوضوح تام في كلام ابن حزم عن تفرع العربية والسريانية والعبرانية عن لغة واحدة، فقد ذكر في كتابه أنّ "السريانية والعبرانية والعربية...لغة واحدة تبدلت بتبدل مساكن أهلها، فحدث فيها جرش كالذي يحدث من الأندلسي إذا رام نغمة أهل القيروان، ومن القيرواني إذا رام نغمة الأندلسي، ومن الخراساني إذا رام نغمتهما".(ابن حزم، غير مؤرخ، ج1، ص:31).

يلاحظ أنّ ابن حزم استعمل "التبدل" كمرادف للتطور، وقد كان تركيزه على تطور المستوى الصوتي، ودليل ذلك تكراره للمصطلح مع الأمثلة الصوتية المتبدلة، يقول :" ونحن نجد من سمع لغة أهل فحص البلوط وهي على ليلة واحدة من قرطبة، كاد يقول إنها لغة أخرى غير لغة أهل قرطبة، وهكذا في كثير من البلاد، فإنه بمجاورة أهل البلدة بأمة أخرى تتبدل لغتها تبدلا لا يخفى على من تأمله، ونحن نجد العامة قد بدلت الألفاظ في اللغة العربية تبديلا وهي في البعد عن أصل تلك الكلمة كلغة أخرى، فنجدهم يقولون في العنب "العينب"، في السوط "اسطوط"..فإذا تعرب البربري فأراد أن يقول (الشجرة) قال (السجرة)..فمن تدبر العربية والعبرانية والسريانية أيقن أنّ اختلافها من نحو ما ذكرناه، من تبديل ألفاظ الناس على طول الأزمان واختلاف البلدان ومجاورة الأمم، وأنها لغة واحدة في الأصل." (ابن حزم، غير مؤرخ،ج1، ص31). وقد يعارض موقف ابن حزم بأن ادعاءه أن "العربية والسريانية والعبرانية لغة واحدة تبدلت بتبدل مساكن أهلها" غير مسلم وذلك لضعف دليله.

فاستعماله لفظ "تبدل" ومشتقاته يرادف ما اصطلح عليه في العصر الراهن بـ "التطور" في اللسانيات الحديثة، والذي يدعم كون لفظ "تبدل" يرادف مصطلح " التطور" هو أنّ أمثلة ابن حزم كلها عبارة عن تغييرات صوتية دون غيرها.

والحاصل أن القدماء قد تناولوا قضية التطور الصوتي في كتبهم غير أنهم لم يستخدموا مصطلح "التطور"، إذ المصطلح بمعناه العلمي لم يكن متداولا عندهم على نحو ما تعارف عليه المعاصرون.

1-3-أقسام التطور الصوتي.

يمكن تقسيم التغيرات التي تطرأ على الصوت فيتطور بسببها إلى أربعة أقسام:

1-3-1-.التغيرات المطردة : وهي نوعان :المطلقة أو التاريخية : وهي التي تحدث بسبب التحول في النظام الصوتي للغة، بحيث يصير الصوت في جميع سياقاته اللغوية صوتا آخر، ومن أمثلته؛ تطور الباء المهموسة) (p في اللغة السامية الأم إلى فاء في اللغات السامية الجنوبية.وهي العربية والحبشية، وقد بقي الأصل كما هو في اللغات السامية الشمالية، وهي العبرية وآرامية والأكادية، فكلمة: (pal) في العبرية صارت في العربية (فول) وكذلك كلمة (pe) في العبرية و(puma) في الآرامية و (pu) في الأكادية تلفظ (فو) في العربية. (عبد التواب، 1997، ص24)

والنوع الثاني هو التغيرات المقيدة بشروط : وهي التي تطرأ على الأصوات من حيث الصلات التي تربط بعضها ببعض في الكلمة الواحدة. فهي مقيدة بتجمع صوتي محدد بعينه، ولا تكون عامة في الأصوات في

كل السياقات اللغوية. ومثال ذلك التحول الذي طرأ على تاء الافتعال في كلمة "اصتبغ" وكلمة "اضتجع" فتحولت التاء إلى طاء بسبب مجيئها بعد الصاد والضاد فقرئت الكلمتان: " اصطبغ واضطجع"

وتختلف التغيرات المطلقة عن المقيدة في كون الثانية أسرع حدوثا من الأولى التي تسير ببطء شديد. وكونها أيضا مشروطة بالتركيب ومقيدة به، بخلاف الأولى التي يتغير معها الصوت مطلقا في جميع السياقات.

1-3-2-.التغيرات الاتفاقية :وهي عكس التغييرات المطردة تماما، فإذا حصلت في كلمة ما فلا يشترط حصولها في كل الكلمات المشابهة لتلك الكلمة، وليس هناك قانون معين يضبط تغيرها. (جاسم، 2011م،ص15)

1-3-3-.**التغيرات الطارئة أو المؤّقتة**: وتعد هذه التغيرات من باب الغلط اللغوي، وما يحدث عند بعض أبناء المجتمع من أخطاء. فقد يتلعثم المرء أحيانا، وينطق الحروف بطريقة خاطئة بسبب ظرف خاص أو مزاج خاص تعرض له، وقد تطرد هذه التغييرات حتى تصبح كالتغيرات التاريخية، لكن نادر ما يحدث ذلك .

1-3-4-.التغيرات الصوتية التي تحصل بسبب عيوب نطقية؛ وتكون هذه التغيرات فردية وطفيفة، تحدث بين فرد وآخر أو بين عائلة وأخرى. لكنها لا تعُّد من الغلط اللغوي أو الاجتماعي، بل إنها تعود إلى طبيعة النطق وطريقة الكلام عند مجموعة معينة من الأفراد أو العوائل. (جاسم، 1432، ص15).

2-أسباب التطور الصوتي ومظاهره.

إن الباحث في تطور الأصوات لن يجد اتفاقا بين علماء اللغة على تحديد الأسباب التي يمكن أن يعزى إليها تطور الصوت، ومن المحدثين من يرجع التطور الصوتي في اللغة إلى سبب واحد تشترك فيه جميع اللغات، إلا أن الأكثرين منهم يرجحون أن تكون هناك أسباب عديدة اشتركت في هذا التطور، والحقيقة أنه يصعب التأكيد والجزم بأن أحد هذه الأسباب هو المسؤول عن تطور الأصوات. (أنيس، غير مؤرخ، ص 162)

مع ذلك، يمكن رصد مجموعة من أهم الأسباب التي أدّت إلى التطور الملحوظ في الصوت في النقاط الآتية:

2-1- ما يحدث من الانقلابات الصوتية في النطق لبعض الأصوات نتيجة للعادات اللغوية التي تتحكم في مناطق معينة. وهذه الظاهرة شائعة في اللغه العربية، حيث نشاهد تغيرا في بعض الحروف أو الحركات من لهجة الى أخرى. كذلك يمكن أن تكون هذه الظاهرة نتيجة أخطاء في السمع خاصة في محيط الأطفال.

وهذه الأخطاء يمكن أن تنتشر وتتسع حتى تصبح حقائقه مقررة من اللهجات، وأكثر ما تحدث هذه الأخطاء في الأصوات المتقاربة في مخارجها.(عبد التواب، 2000، ص40)

2-2- ما يسمى بقانون المماثلة؛ حيث تتأثر الأصوات اللغوية بعضها ببعض عند النطق بها في الكلمات والجمل. وتتغير مخارج بعض الأصوات أو صفاتها لكي تتفق في المخرج مع الأصوات الأخرى المحيطة بها في الكلام، فيحدث عن ذلك نوع من الانسجام في المخارج أو في الصفات.

2-3-قانون المخالفة في نطق بعض الأصوات. ويحدث ذلك عندما يجتمع صوتان متماثلان تماما في كلمة من الكلمات، فإن أحدهما قد يتغير إلى صوت من أصوات العلة لطويلة في الغالب، أو إلى صوت من الأصوات المائعة ولاسيما اللام والنون. مثال ذلك ؛ قراط ودنار، وبدلا من قيراط ودينار، بدليل الجمع قراريط ودنانير.

وقد يحدث هذا إذا كان الصوتان متجاورين وإن لم يكونا متماثلين، مثل كلمة عنوان التي دق تصبح علوان، وكلمة لعل التي رويت في بعض اللهجات "لعن" وهكذا .(عبد التواب،2000، ص 46).

2-4- القياس الخاطئ في نطق بعض الأصوات،" فليس كل ما ننطق به قد سمعناه من قبل، بل يلعب القياس دورا كبيرا في كلامنا. ونحن إذا سمعنا متحدثا ينطق بصيغة من الصيغ، فمن الصعب الحكم عما إذا كانت هذه الصيغة قد سمعها هذا المتحدث من قبل، أو أنها بنت الساعة كونها على قياس خاطئ على ما سمع من قبل. ومن الصعب أن نحكم بهذا أو بذاك على الأخص حينما يكون القياس صحيحا موافقا لما تتطلبه اللغة وشاع فيها، أما إذا خالف هذا القياس ما شاع في اللغة، فهذا ما يسميه اللغويون بالقياس الخاطئ. (عبد التواب ،2000)

ومثال ذلك؛ كلمة "عتيد" بمعنى حاضر، كما ورد في الأشعار القديمة والقرآن الكريم، قد شاعت في أيامنا هذه بمعنى ؛" عتيق قديم"، أو "جبار قوي" ، وما ذلك إلا لأنها تشترك في أكثر أصواتها مع كلمتي "عتيق وعنيد"، فقيست قياسا خاطئا في معناها عليهما. (عبد التواب،2000 ص49)

2-5-نظرية السهولة والتيسير. وتذهب هذه النظرية إلى أن اللغة تميل فى تطورها نحو السهولة والتيسير، فتحاول التخلص من الأصوات العسيرة، وتستبدل بها أصواتا أخرى لا تتطلب مجهودا عضليا كبيرا، كما أنها تحاول أن تتفادى تلك التفريعات المعقدة والأنظمة المختلفة للظاهرة الواحدة. (عبد التواب، 2000 ص50)

2-6- نظرية ظاهرة القلب المكاني، والقلب المكاني هو عبارة عن تقديم بعض أصول الكلمة على بعض، لصعوبة تتابعها الأصلي على الذوق اللغوي.(عبد التواب، 2000، ص52)

2-7- تفاعل أصوات الكلمة مع بعضها : يحدث هذا التفاعل بين بعض الأصوات التي تتجاور في كلمة ما، فإما أن تنجذب إلى بعضها أو تتنافر، ويؤدي ذلك الانجذاب أو التنافر إلى نتائج ملحوظة وذات أهمية في التطور الصوتي، كالتفاعل بين الأصوات الساكنة وبين أصوات اللين، كما يؤثر اختلاف مخارج الحروف واختلاف صفاتها أيضا في هذا التفاعل، فينتج عنه الإدغام تارة والإظهار تارة أخرى. (عبد الواحد، 1997،ص298)

3-عوامل التطور الصوتي

إنّ تطور اللغات في أصواتها أشد سرعة وأكثر تنوعا من تطورها في جوانب الصيغ والمفردات والأساليب، إذ إن الجانب المنطوق يمارس حريته في التغير بشكل أكبر من الجانب المكتوب، هذا بالإضافة إلى أن الجانب الصوتي يصادف ظروفا سياقية لا تظهر في الكلام المكتوب، ولهذا ينفصل الصوت عن صورته ويتطور دونه وخير دليل هو مخالفة النطق للكتابة في كثير من اللغات مما يعني تطور النطق وبقاء الهجاء القديم. (مختار ، 1997، ص369)

يقول فردينان دي سوسيور في هذا السياق :" لا شك أن البحث عن هذه العوامل هو من أكثر المسائل صعوبة في الألسنية، وقد اقترحت تفسيرات عديدة غير أنه لم يكن لأي منها أن يقدم كشفا شافيا للموضوع". (دي سوسيور، 1987م، ص187)

وفيما يلي عرض لأبرز وأهم تلك العوامل التي ساهمت في تطور الأصوات؛

3-1- اختلاف أعضاء النطق

من العلماء من يجعل للجانب الفيزيولوجي أهمية فيما يتعلق بتطور الأصوات، فالتطور الذي يطرأ على أعضاء النطق من جيل إلى آخر يؤدي إلى التطور الصوتي، فتطور الصوت ما هو إلا نتيجة للتطور أعضاء النطق. وممن قال بهذا العالم المغربي "روسلو". (عبد الواحد، 1997م،ص290).

وجعل بعض الباحثين التغيرات التي طرأت على بعض أصوات اللغة العربية دليلا على ذلك، فصوت الجيم الذي كان النطق به معطشا في العربية الفصحى، تحول في معظم المناطق المصرية إلى (جيم غير معطشة)،

والثاء كذلك، تحولت في بعض البلدان العربية إلى التاء فيقال (توب، وتلج، وتعبان، بدلا من ثوب وثلج وثعبان).

فهذه الأمثلة تدل على أن تلك الأصوات قد أصبحت ثقيلة على أعضاء النطق، لذلك استبدلوا بها أصواتا تلائم ما انتهت إليه أعضاء نطقهم. (عبد الواحد، 1997،ص 291)

إلا أنه ومن الناحية التشريحية، لا يوجد ما يعضد هذه النظرية، فقد أثبت علماء التشريح أن أعضاء النطق واحدة لدى جميع البشر على اختلاف الأزمنة والأمكنة... (أنيس، غير مؤرخ، ص162)

ويرى الباحث أن هذا السبب ليس قويا ولا مؤثرا في تطور الصوت، إذ ليس هناك دليل يثبت اختلاف أعضاء النطق باختلاف الأجيال، بل إن ذلك مما لا يستساغ عقلا، فاختلاف المعاصرين في نطق بعض الأصوات عن غير ما كان ينطق به القدماء، ليس لأن أعضاء نطقهم تختلف عن أعضاء نطق المعاصرين، بل هناك أسباب أخرى توجب ذلك، فالبيئات تختلف تماما، وكذلك الحياة الاجتماعية المحيطة بها. والحاصل أن البنية الطبيعية لأجهزة النطق لا علاقة لها لتطور الأصوات.

3-2- البيئة الجغرافية

كما أن للبيئة أثرا على نفسيات أفرادها وسلوكهم، فإن أثرها يمتد إلى لهجاتهم ولغاتهم. فخصائص الإقليم تنعكس على أهله". (عبد الواحد، 1997، ص257) والذين يعيشون في بيئة زراعية مستقرة يتكلمون لهجة غير التي يتكلمها الذين يعيشون في بيئة صحراوية بادية،(الراجحي، 1420هـ، 244) وغالبا ما اعتبرت التغيرات الصوتية ترجع إلى التكيف مع ظروف البيئة الطبيعية الأرض والمناخ. (دي سوسيور1987م، ص188).

وقد أكد طائفة من العلماء على أهمية هذا العامل في حضور التطور الصوت، فقد دلّل "كولتيز" على ذلك لما لاحظه على اللغة الألمانية، حيث تطورت أصوات تلك اللغة في المناطق الجبلية من الشدة إلى الرخاوة، نظرا لما يبذله ناطقي الجبال من جهد أثناء عملية التنفس، فيقومون لذلك بالتخلص من أصوات الشدة، نظرا لحاجاتها لبذل الجهد أثناء النطق. (أنيس، غير مؤرخ، ص164)

وقد أنكر "جس برسينيJespersen " ما ذهب إليه "كولتيز Collitz"، لأن تطور الأصوات على هذا النحو لا يقتصر حدوثه على البيئة الجبلية، بل إن من البيئات السهلة من تقوم بذلك. والمعول عليه في عملية النطق بالأصوات ليست كمية الهواء الخارجي من الرئتين، بل أعضاء النطق نفسها. (أنيس، غير مؤرخ، ص 164)

والحق أنه كما يتجلى أثر البيئة على المعاني والخيال والأساليب فإنه يتجلى أيضا في الصوت، ويعضد ذلك الكثير من الشواهد المتناثرة في كتب اللغة ، فقد عرف من خلال تلك الشواهد نزعة البدوي وجنوحهم لإنتقاء الأصوات الشديدة، والمفخمة، والمجهورة، وميل الحضر إلى الأصوات الرخوة، والمرققة، والمهموسة. ولا فرق بين هؤلاء وهؤلاء سوى البيئة التي تحتضنهم والطبيعة والظروف التي تحيط بكل بيئة.

3-3- السرعة في النطق

فالمتحدث في الحياة اليومية وفي الختام اليومي يميل للوصول إلى غرضة من أيسر السبل وأقصر الطرق، فهو يتحدث بسرعة حتى لا يدع مجالا لمخاطبه بمقاطعته، وحتى يوفر وقتا لاستقلاله في التعبير الأفكار أخرى، أما التروي والتأني في الكلام فلا يتحقق إلا في الأحاديث الرسمية، فالمتحدث يملك من الوقت ما يتيح له التعبير عن رأيه دون أن يخشى مقاطعة المخاطب.

وقد لاحظ (وندتWundt) أن الثورة الثقافية التي حدثت للألمان كان من نتائجها بالإضافة إلى استقرار شعب الألماني التأثير على سرعة النطق." ويمضي (وندت) مستعرضا الأصوات والتي تغيرت، مبينا كيف أثرت النزعة إلى سرعة النطق على حركة الأعضاء الصوتية، بما جعل تقدير الذي وصلت إليه أمرا لا مفر منه".(أيوب،1969، ص29).

وقد لوحظ في لهجات العرب ما يشير إلى وجود أثر لهذا العامل، فقد عرف عن البدوي ميلهم لسرعة النطق في حديثهم، فيدغمون صوتا بصوت آخر، ويسقطون من الأصوات ما لا يخل بالمعنى، ويؤدي الغرض بإيصال المعنى بوضوح للسامع.

3-4- العادات اللغوية للشعوب

لا شك أن الشعوب تختلف فيها عاداتها وتقاليدها وحضاراتها فيما يمتلكه أفرادها من ثقافات ولغات. ولغة كل فرد ليست إلا انعكاس لبيئته وأمته التي يعيش فيها، فهي تختلف بين أفراد الشعوب ولكل شعب طرق وعادات نطقية تميزه عن غيره.

"ولا يخفى ما يترتب على اختلاف الشعوب في طريقة النطق من آثار بعيدة المدى في التطور الصوتي في اللغات الوافدة على المنطقة. فعندما ينتقل شعب إلى شعب آخر يتحدث بلغة أخرى جديدة، فإنه يقوم لا إراديا بتطبيق عاداته الصوتية القديمة التي اعتادها في نطقه للغته على تلك اللغة الجديدة، وهذا ما يطلق عليه بعض الباحثين "الطبقة السفلى للغة". (فندريس،2014م، ص82).

ويلحظ أن تطور اللغات يزداد سرعة بازدياد انتشارها في الخارج، وبازدياد عدد الناس الذين يتكلمون بها، إذ إن انتشارها في أقاليم تحتك فيها بلغات أخرى يجعلها عرضة لأن تفقد خصائصها الموغلة في الذاتية. (فندريس، 2014م، ص427)

ومثل هذا التأثر حدث للغة العربية حين دخلت لشعوب مختلفة بسبب الفتوحات، حيث إن تلك الشعوب تقوم بنطق أصوات العربية، فتغير فيها بما اعتادت عليه في لغتها. ولأن التأثير بين اللغات متبادل، فإن العربية أحدثت مثل ذلك على الألفاظ الجديدة التي دخلت عليها، كما وقع في الألفاظ المعربة التي أبدل العرب أصواتها كالأقليد (cleda)، والفالوذج (بالوده)". (المبارك، 1964، ص57)

وأشار الجاحظ إلى أثر اختلاف العادات اللغوية للشعوب بقوله :" وقد يتكلم المغلاق الذي نشأ فى سواد الكوفة بالعربية المعروفة ، ويكون لفظه متخيرا فاخرا، ومعناها شريفا، ويعلم من ذلك السامع كلامه ومخارج حروفه أنه نبطي، وكذلك إذا تكلم خراساني". (الجاحظ، 1978هـ، ص51). فالعوامل المؤثرة في التطور الصوتي ليس محل اتفاق بين اللغويين، سواء القدامى منهم أو المعاصرين، إذ ما ذكروه من عوامل لم يسلم عُرضة للنقد، كعامل اختلاف أعضاء النطق، والبيئة الجغرافية والحالة النفسية. غير أن ثمة عوامل أخرى مؤثرة لها دورها البارز والحضور الفعلي للتطور الصوتي كعامل اختلاف اللهجات.

4-مظاهر التطور الصوتي للألفاظ العربية.

4-1-. تطور صوت " الثاء"

الثاء: حرف مهموس، وهو أحد حروف النفث، ولا تكون إلا أصلا، فاء أو عينا أو لاما، فالفاء نحو؛ "ثمر وثبت"، والعين نحو "جثل وخث"، واللام نحو؛ "فحث وبعث". (ابن جني، 200م ج1/، ص 171)

ومخرج هذا الصوت من طرف اللسان مع أطراف الثنايا العليا، وله من الصفات : الهمس والرخاوة، والاستفال، والانفتاح، والإصمات.

وتلحق هذا الصوت تطورات تجعله عرضة لينطق بصوت آخر، نظرا إلى التقارب بين المخرجين، أو الميل إلى السهولة، كما هو ملموس في البيئات العربية. وقد يكون العامل راجعا إلى عدم توفر هذا الصوت في لغة الأم للناطقين بالعربية من غير أهلها، كدارسي اللغة العربية من أبناء يوربا على سبيل المثال.

4-1-1-النماذج التطبيقية لتطّور صوت "الثاء"

4-1-1-1.-يتطور صوت "الثاء" إلى التاء في مثل كلمة "الثأر"، حيث تنطق "تار"، مع تسهيل الهمزة. ويكثر استعمالها في الفصحى والعامية، وكذلك كلمة "ثخين"، تنطق "تخين"، وتنطق "توم" في "ثوم"، ويقال : "التلات" في الثلاثاء" ، و"تلاتة" في ثلاثة، و"تلاتة وتلاتين" في ثلاثة وثلاثين، و"توب" في ثوب. ومن قلب الثاء "تاءًا" قولهم : "عتمان" في عثمان، و"مبعوت" في مبعوث. (شوقي، غير مؤرخ، ص148)

4-1-1-2--.ويتطور صوت "الثاء" إلى السين في مثل :"سريّ" في ثري، أي غنيّ، و"سروة" في ثروة، و"سقب" في ثقب، و"سواب في ثواب"، و"مكس" في البيت، في مكث في البيت. (شوقي، غير مؤرخ، ص149)

والدارس اليورباوي للغة العربية ينطق صوت " الثاء" سينا في جميع هذه الأمثلة المذكورة، فالثاء عنده سين، والعامل في ذلك عند الدارس اليورباوي هو عدم توفر هذا الصوت في لغته الأم، فيقول اليورباوي الناطق بالعربية في ثأر وثلاثة وثخين وعثمان؛ سأر وسلاسة وسخين وعسمان.

ومن الجدير بالذكر أن صوت "الثاء" من أصوات السن في العربية التي هي "الذال والثاء والظاء"، وهي التي تتطلب إخراج طرف اللسان ووضعه بين الأسنان عند النطق بها، وهذه الأصوات الأسنانية قد اندثرت في بعض اللهجات العربية الحديثة، وهذا يعدّ مظهرا آخر من مظاهر السهولة والتيسير في اللغة. (عبد التواب، 1990، ص83)

4-2-.تطور صوت "الجيم".

إن مخرج صوت الجيم من وسط اللسان وبين الحنك الأعلى، ويشترك معه في المخرج صوت الشين، والياء. وهو من الحروف التسعة عشر المجهورة، كما يعد من الأصوات الشديدة، فالجيم صوت حنكي جهري شديد. (سيبويه، 1982م، ج433/4)

ووصفه كمال بشر بأنه :"صوت لثوي حنكي مركب، وصفة التركيب تعني أنه انفجاري احتكاكي".

4-2-1-النماذج التطبيقية لتطور صوت الجيم

4-2-1-1. قد يتطور صوت " الجيم" إلى "الكاف " في مثل كلمة " الجبهة " فقد تطوّرت إلى "الكبهة"، ففي حديث حذيفة :" قال له رجل قد نعت لنا المسيح الدجال، وهو رجل عريض "الكبهة"، أراد الجبهة. وأخرج "الجيم" من مخرجها ومخرج "الكاف"، وهي لغة قوم من العرب، ذكرها سيبويه مع ستة

أحرف أخرى وقال : إنها غير مستحسنة ولا كثيرة في لغة من ترضى عربيته. (ابن منظور، غير مؤرخ، ج13/ص533)

ومثلها أيضا "الجبولاء"، وهي العصيدة. وهي التي تقول لها العامة "الكبولاء"، ومن أمثلة نطق "الجيم" كافا قولهم :"خطيب مسهج ومسهك"، وريح سيهوج وسيهوك، وسيهك، والسيهج والسيهك هو مرّ الريح. (عبابنة، 1999، ص313)

ومن الأمثلة الموضحة للصورة النطقية القديمة لصوت الجيم ،كلمة (الأهوج)، روت لها المعاجم صورة أخرى لها بالكاف، أي الأهوك. وهذا الاستعمال اللغوي تعني المعنى نفسه التي تعنيه الصورة الأخرى، فقد ذكرت المعاجم أن الأهوك والأهوج واحد، وأن الهوك كالهوج: الحمق. (ابن منظور، غير مؤرخ، ج2/ص394)

4-2-1-2-.وتطور صوت "الجيم" إلى صوت "القاف"، و"القاف" بصورتها التي وصفها القدماء لا تختلف عما يحدث عند نطق الجيم المفردة الخالية من التعطيش، إلا اختلافا يسيرا، إذ لا يختلف نطق "القاف" في نطق الأوساط البدوية والريفية في كثير من مناطق الشام، والعراق، وجزيرة العرب، وأجزاء من مصر، وغيرها عن نطق الجيم في استعمال أهل القاهرة لصوت الجيم. ويبدو أن هذا الازدواج قد وجد وقت تدوينها، ولذا جاءت فيها بعض الأنماط الاستعمالية على صورتين، إحداهما بالقاف وأخرى بالجيم. (عبابنة، 1999، ص313)

فيقال للحانوت "كربج" و"كربق" و"قربق"، وهو فارسي معرب، وكثيرا ما تتصرف العربية في الكلمات المعربة بما يوافق نظامها اللغوي، ويبعدها عن النظام اللغوي الذي استعيرت منه الأنماط المعربة، و"الكوسق" هي "الكوسج"، وهي معربة أيضا. (عبابنة، 1999، ص315)

وقد تطور هذا الصوت اليوم في اللهجة المصرية إلى ما يشبه صوت " الغين" فيقولون في المسجد والمرجع مثلا المسغد والمرغع.

4-3-.تطوّر صوت "الحاء"

الحاء حرف مهموس، يكون أصلا لا غير، فإذا كان أصلا وقع فاء وعينا ولاما. فالفاء نحو: "حرم وحبس"، والعين نحو :"سحر وضحك"، واللام نحو :"صبح وصلح". (ابن جني، 1993، ج1/ص179)

والحاء من الأصوات الحلقية، و هو الصوت المهموس الذي يناظر"العين"، فمخرجهما واحد، ولا فرق بينهما، غير أن "الحاء" مهموس، ونظيره "العين" مجهور. (أنيس، غير مؤرخ، ص76)

النماذج التطبيقية لتطوّر صوت "الحاء".

يتطور صوت "الحاء" إلى "عين"، و"هاء". والعامل في ذلك قرب المخارج، فكل هذه الأصوات أصوات حلقية، ثم عامل اجتماعي عند أولئك الناطقين باللغة العربية من غير أهلها، ممن ليس عندهم أصوات حلقية في لغتهم الأولى؛ لغة الأم.

تبدل الحاء عينا في لغة هذيل يقولون: (اللعم الأعمر أعسن من اللعم الأبيض) أي : اللحم الأحمر أحسن من اللحم الأبيض، ويقولون : (علت العياة لكل عي) أي : حلت الحياة لكل حي. (أفندي، 1886، ص13)

وقلب صوت "الحاء" إلى صوت "العين" يسمى" الفحفحة"، وهي لغة تنسب إلى قبيلة هذيل باتفاق جميع اللغويين، وقد قرئ به القرآن الكريم في قوله تعالى: "حتى حين" يقول ابن جني : روي عن عمر أنه سمع رجلا يقرأ : عتى حين، فقال : من أقرأك ؟ قال : ابن مسعود، فكتب إليه : إن الله عز وجل أنزل هذا القرآن فجعله عربيا ، وأنزله بلغة قريش، فأقرئ الناس بلغة قريش ولا تقرئهم بلغة هذيل، والسلام . (عبد التواب، 1999، ص138)

ويبدو من هذه الرواية – إن صحت – أن هذه الظاهرة لم تكن عامة في كل "حاء" عند قبيلة هذيل، إذ لم تقلب الحاء عينا في كلمة "حين" المجاورة لكلمة "حتى" في الآية القرآنية، أي أن هذا الإبدال خاص بكلمة " حتى" ومما يقوي هذا الظن قول أبي عبيدة : " قوم يحولون حاء حتى فيجعلونها عينا"، كقولك : قم عتى آتيك".

وقال أبو الطيب اللغوي: "ويقال، اصبر حتى آتيك، وعتى آتيك" (عبدالتواب، 1999، ص139)

خاتمة

خلص مما تقدم أنّ التطور الصوتي للألفاظ العربية بات أمرا مهما يلحظ حضوره في كثير من اللغات، ولا أدل على ذلك من مجموعة من النماذج التطبيقية التي تقدم بيانها وتفصيل الحديث عنها ببيان بعض الأسباب التي أدت إلى التطور الصوتي فيها، والعوامل المؤثرة في ذلك.

و تتلخص هذه الورقة السمينارية مع ما توصلت إليها الدراسة من نتائج في نقاط أبرزها ما يلي :

– أن مصطلح التطور الصوتي بغض النظر عن دلالته على مراحل زمنية ومكانية لم يأخذ القدر الكافي إلا في دلالته الحديثة وذلك لأن تلك النظرة الشمولية للغة لم تكن حاضرة عند القدماء بشكل علمي ما عدا شذرات تناثرت عند ابن فارس وابن جني وغيرهما.

– أن استعمال لفظ "تبدل" ومشتقاته يرادفه مصطلح "التطور" في اللسانيات الحديثة، وأمثلته كلها عبارة عن تغييرات صوتية دون غيرها.

– اتضح أن قضية التطور الصوتي متناثرة في كتب القدماء إلا أن المصطلح بمعناه العلمي لم يكن على نحو ما تعارف عليه المعاصرون.

– تقرر أن العوامل المؤثرة في التطور الصوتي ليست محل اتفاق بين اللغويين، سواء القدامى منهم أو المعاصرين، إذ إن العوامل المذكورة لم تسلم من النقد، غير أنه مع ذلك هناك عوامل أخرى مؤثرة لها دورها البارز للتطور الصوتي.

–ثبت أن الدارس اليورباوي للغة العربية قد ينطق صوت " الثاء" سينا، والسبب في ذلك عند الدارس اليورباوي هو عدم إيجاد هذا الصوت في لغته الأم، فيقول اليورباوي الناطق بالعربية في ثلاثة وعثمان؛ سأر وسلاسة وسخين وعسمان، ونظير هذه الظاهرة موجودة في بعض اللهجات العربية الحديثة.

–صوت "الثاء" من أصوات السن في العربية التي هي "الذال والثاء والظاء"، وهي التي تتطلب إخراج طرف اللسان ووضعه بين الأسنان عند النطق بها، وهذه الأصوات الأسنانية قد اندثرت في بعض اللهجات العربية الحديثة. ومخرج هذه الأصوات قد رجع إلى الخلف مع احتفاظها بصفة الرخاوة تارة، أو الشدّة تارة أخرى. مما يدلّ على خضوع التطور في هذه الأصوات الأسنانية لقانون التيسير والسهولة.

–يُعلم بالضرورة أن التطور الصوتي ليس سوى عامل طبيعي في تاريخ البشرية، وقد طرأت على هذا الصوت الإنساني تطوّرات لاحظها علماء اللغة ودونوها على مرّ العصور، وهذه التطورات الصوتية مستمرّة وإن كانت بطيئة. ويمكن إرجاع ظاهرة هذه التطورات إلى عوامل وأسباب متعدّدة، ولهذا جاءت هذه الورقة ــ كمحاولة لاستقصاء قضايا التطور الصوتي ــ لتسليط الضوء على أهم العوامل والأسباب التي تؤدي إلى هذه التطورات الصوتية.

المراجع

أبو الفتح، عثمان بن جني، (2008) **الخصائص**، دار الكتب العلمية ، بيروت

أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي، جمال الدين ابن منظور، غير مؤرخ، **لسان العرب** ، دار صادر ، بيروت

أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الليثي، الشهير بالجاحظ (1998) **البيان والتبيين**، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة.

أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن بن حزم ، (غير مؤرخ) **الإحكام في أصول الأحكام** ، بيروت، دار الآفاق الجديدة.

أفندي ناصف حفني، (1886) **مميزات لغات العرب**، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر

المبارك محمد،(1964) **فقه اللغة وخصائص العربية**، دار الفكر ، دمشق

أنيس إبراهيم (غير مؤرخ) **الأصوات اللغوية** ، مطبعة نهضة مصر، مصر.

أنيس إبراهيم (1952) **في اللهجات العربية**، مطبعة لجنة البيان العربي،

أيوب عبد الرحمن، (1969) **اللغة والتطور**، مطبعة الكيلاني، القاهرة

باي، ماريو(1970) **لغات البشر أصولها وطبيعتها وتطورها**، ترجمة د. صلاح العربي، الجامعة الأميركية بالقاهرة، سنة.

جاسم أنفال،(2011) **التطور الصوتي في العربية في ضوء المنهج الوصفي**، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في جامعة البصرة

دي سوسيور فرديناند ، (1987) **محاضرات في علم اللسان العام**، ترجمة: عبد القادر قنين، دار أفريقيا الشرق،

الراجحي عبده (1999) **اللهجات العربية في القراءات القرآنية**، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع

سيبويه، (1988) الكتاب، مكتبة الخانجي ، القاهرة

السيد، عفراء (2021) تطور أصوات اللغة العربية، مقالة منشورة في **مجلة العلوم الإنسانية والطبيعية**، جامعة إسطنبول آيدن.

شوقي أحمد، (غير مؤرخ) **تحريفات العامية للفصحى**، دار المعارف، القاهرة.

عبابنة يحي، (1999) تطور صوت الجيم في اللغة العربية وأثره في تشكيل بنية الكلمة، مقالة نشرت في **مجلة مؤتة للبحوث والدراسات**، العدد الخامس

عبد التواب رمضان ،(1997) **التطور اللغوي، مظاهره وعلله وقوانينه.**

عبد التواب رمضان ،(1999) **فصول في فقه العربية**، مكتبة الخانجي، القاهرة

عبد التواب رمضان ،(2000) **لحن العامة والتطور اللغوي** ، دار المعارف مكتبة زهراء الشرق، القاهرة.

عبد الواحد وافي علي، (غير مؤرخ) **علم اللغة** ، نهضة مصر للطباعة والنشر، مصر.

فندريس جوزيف،(2014) **اللغة**، تعريب: عبد الحميد الدواخلين ومحمد القصاص، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة

محمد مرتضى الحسيني الزبيدي ،(1975) **تاج العروس من جواهر القاموس**، التراث العربي، الكويت.

مختار عمر أحمد ، (1997) **دراسة الصوت اللغوي** ، عالم الكتب، القاهرة.

نخبة من اللغويين بمجمع اللغة العربية بالقاهرة (1976) **المعجم الوسيط**، دار الفكر ببيروت